صداقة الانسان للحيوان

الذين زاروا باريس منذ عقدين او ثلاثة رأوا في حدائق التويري رجلاً تحوم العصافير عليه فينادي كلاً منها باسمه ويطعمهُ بيده كأن بينها وبينهُ الفة وصداقة. وكاتب هذه السطور يصغر لبغاء مشهور بشراسته ويمدُّ اليه اصبعهُ ويحك بهِ رأسهُ وعنقهُ وهو مطرق مسرور واذا ادنى آخر اصبعهُ منهُ نسرهُ بمنقارهِ حتى يكاد ينزع لحمهُ عن عظمهِ. فهل في بعض الناس سلطة خاصة على الحيوانات حتى تخضع لهم صاغرة او انها تأنس بكل من يبشُّ لها ويعاملها باللطف والتؤدة

مس كالو والنمر في حضنها

من اغرب ما قرأناهُ حديثاً في هذا الموضوع مقالة للستر سُندرس نشرها في مجلة بيرصن الفكاهية وعززها بكثير من الصور الفوتوغرافية التي صوَّرها بآلة تصوير صغيرة من نوع الكودك شرح فيها كيف دخل بستان الحيوانات في مدينة لندن هو وفتاة اسمها مس كالو لكي يصورا ما فيها فصادقا بعض الضواري والكواسر كالاسود والنمورة والنسور والعقبان واشتدت الالفة بينها وبينها حتى صار الفريق الواحد لا يصبر على فراق الآخر. وعندهُ ان في صداقة الحيوان من اللذة ما لا تفوقهُ لذة اخرى. وللناس فيها يمشقون مذاهب

قال اني زرت تلك الحديقة في السنوات الاربع الاخيرة اكثر من الف مرة وكانت مس كالو تزورها في آخر كل اسبوع وانا وهي من اعضاء جمعية علم الحيوان. وكان غرضنا اولاً تصوير الحيوانات من باب الفكاهة ثم وجدنا ان مصادقة الحيوانات انفع من تصويرها فقد كان هناك نمرة البغة بلغ من انسها بالناس انها كانت تقف في باب قفصها وتسمح للمشاهدين ان يضعوا ايديهم على رأسها ويمسدوا شعرها فلما رأت مس كالو احبتها وصارت تأبى ان تعود الى داخل قفصها ما دامت هذه الفتاة

واقفة امامها وكانت تضع يدها على كتف الرجل الذي رباها وهو الحافظ لها فصارت تضعهما على كتفي مس كالو ومن ثم زادت رغبتنا في مصادقة الحيوانات ولاسيما الاليفة منها من ذلك اسد ولبوة اذن لي ان ادخل قفصها واشد ذنبيهما واسد آخر كنت امسك بطرف وسادة قديمة ينام عليها فيمسك هو بالطرف المقابل وكلٌّ منا يحاول نزعها من الآخر الى ان انشطرت شطرين . ثم حاولت مس كالو الركوب على ظهره فابت عزة نفسه ان يكون مطية لراكب

مس كالو والنمرة

وتدرجنا في مؤانسة الحيوانات ومصادقتها من الثعلب اصغرها الى فرس النهر اكبرها . ولم نرَ ما تساء منهُ الاَّ اذا حدث حادث فجائي اغاظها . من ذلك ذئب الف مس كالو وكان يمسك بشعرها ويحلهُ واتفق ذات يوم ان رآهُ ولد يفعل ذلك فخاف وزعق فارتمى الذئب ولطم وجه مس كالو بيده فكاد يفقأ عينها

وتدرَّجنا من الحيوانات الاليفة الى غيرها فالفتنا ثم الفت غيرنا من ذلك ضبع وحشية انست بنا وصارت تبيح لنا ان نفرك عنقها وهي الآن تسمح لغيرنا ايضاً ان يفعل ذلك . ومنها نمر كبير من عمورة جبال افريقية أتي به الى حديقة الحيوانات منذ سنتين ونصف سنة وكان شرساً شديد النفور يهرُّ في وجه كل من يدنو منهُ واشار علينا حافظهُ ان نكون على حذر منهُ ففعلنا باشارته ولكننا كنا نتردد على قفصه كلما اتينا الحديقة لنراهُ ويرانا واتفق ذات يوم اننا رأيناهُ واقفاً امام قضبان الحديد في قفصه لا على المنصة التي كان يرتاض عليها دائماً وهو يهرُّ بصوت عالٍ وقد شال ذنبهُ الى فوق ظهره فقلت في نفسي لعلهُ صار يود ان نربتهُ كما نربت غيرهُ من

الحيوانات فدنت مس كالو منهُ حالاً ومدت يدها وجعلت تمسّد عنقهُ فوقف مسروراً على ما يظهر وادنى ظهرهُ منها لكي تمسدهُ ايضاً وجعل يخطر ذهاباً وايباباً ويدني جسمهُ منها ويفركهُ بيدها كما تفعل الهرة اذ تفرك جسمها بجسمك . وزاد انساً بنا يوماً بعد يوم لكنهُ لم يأنس بغيرنا حتى الآن . ولمَّا انس بنا صرنا نأتيهِ بقطع من اللحم فيتناولها منا واذا كانت ضلعاً فيها لحم (كستلاتا) تناولها وابعد عنا في قفصهِ ثم عاد بها الينا واخرجها من بين قضبان الحديد كأنهُ يحاول ان يلاعبنا بها فكنا نأخذها منهُ ثم نردها اليهِ . ثم زادت الالفة بيننا وبينهُ حتى صارت مس كالو تنزع العظم من فيهِ وهو ينهشهُ فينظر اليها شاخصاً كأنهُ يعلم انها تداعبهُ مداعبةً ولا بدَّ من ان نردهُ

مس كالو والنمر

اليهِ . وهو يفعل ذلك ولو كان المكان مملوءاً بالمشاهدين وما منهم من يجسر على الدنو منهُ

قلّ من حاول تأنيس النسر والعقاب اما نحن فاقدمنا على ذلك في حديقة الحيوانات عقاب هندي طعامهُ في الهند جيف الناس . كان ينام على ظهرهِ ويأتي حارسهُ وينهضهُ وذات يوم دخلت مس كالو قفصهُ والقتهُ على ظهره وجعلت تدغدغ ظهرهُ ثم جلست في القفص ووضعتهُ في حضنها فاقام فيهِ كالطفل الحنان انزلتهُ واوقفتهُ على قدميهِ . وكان في القفص الثاني نسر كبير من اشرس النسور لكنهُ انس بمس كالو وصارت مسرتهُ الكبرى ان ينزع جوربيها من رجليها بمنقارهِ ويفك سير حذائها ثم يثب الى حضنها ويجثم فيهِ

وفي الحديقة عقاب ذهبية وهي من اكبر العقبان والمعروف انها من اشرسها وقد هجمت مرة على رجل فآذته كثيراً فلم يؤذن لاحد بعد ذلك ان يدخل قفصها غير حارسها . وقد رأينا نلاعب عقبان البحر الآتية من بلاد شيلي وهي في قفص مجاور لقفصها فجعلت تدير نظرها من العقبان الينا وكأنها غارت منها فعزمت ان ادخل قفصها وارى ما يكون من امرها ولم يدعني الحارس ادخل الا بعدما وعدته ان اكون على تمام الحذر فدخلت واقتربت منها رويداً رويداً فلم تأنف من دنوي منها وقدمت لها قطعاً من اللحم وضمتها بيدي في منقارها ثم ادرت الكودك وصورتها فلم تعانع مع انني ادنيت الكودك منها حتى صار على اقل من متر . ومن ثم انست بي ولمس كالو وصارت تسمح لمس كالو ان تعطيها لحم ارنب ثم تنزعها من مخالبها على سبيل المداعبة

مس كالو والعقاب الذهبية

وقد وقفت بعد ذلك وكسرت ظهرها وصار يتعذر عليها ان تمزق اللحم لتأكله فجعلنا نمزقه لها لكي تستطيع اكله وصار هذا دأبنا

وقد يقال ان هذه الحيوانات انست بنا لاننا كنا نطعمها . ولا شبهة ان اطعام الحيوانات يساعد احياناً كثيرة على استئناسها بمن يطعمها ولكننا كنا نطعم بعض الحيوانات كل يوم وحالما نناديها تسرع الينا لتأكل ما نقدمه لها وتنظر الينا دائماً كأنها تعرفنا ولكنها لم تكن تدعنا نلمسها . ثم ان حيوانات اخرى قد انست بنا بسهولة قبلما اطعمناها شيئاً من ذلك بعض الذئاب والضباع والافاعي الكبيرة والعقبان ومنها ذلك بر صغير كنا نعطيه لحم ارنب وهو من احب الاطعمة اليه فيلقيه جانباً ويأتي يلعب معنا . وكل ما في الامر اننا نحب الحيوانات ونعرف شيئاً من طبائعها وهي تميز صديقها من عدوها على ما يظهر